

من حرجنا الذي

فكرة الضحية وإهراق الدم للمعبود لم تزل باقية إلى اليوم . فالوثنية قد خلقت تقاليد لم يكن معها من السير . إن ذبح الحروف في العيد الكبير إن هو إلا ظل باهت لتلك المعبود التي كان يُذبح فيها الأدي للذبح عند أقدام الهياكل . ولكن الزمن غير الشكل ولم يغير المبدأ . إن الإنسانية في تطورها لا تحو شيئاً غرس في طبيعة الإنسان من قديم ... ولكنها تبدل في لونه وطلائه ، وتمدل في ملامحه وتكسوه ثياباً أخرى ، وتسميه اسماً جديداً يتفق مع روح العصر الجديد . فالإنسان لا يتغير . إنما يتطور . ولم يغب ذلك عن حكمة الأديان . فهي في تماقها لم تفسخ كل ما رسخ من عقائد الإنسان . ولكنها أخذت أكثر هذه العقائد بالرفق ، فهذبت من وسائلها وغاياتها . فالضحية الأدمية جعلتها ضحية من الحيوان ؛ والغاية منها ، وقد كانت إرضاء المعبود وحده ، حولتها إلى إرضاء الله بإرضاء الفقير في يوم العيد

هنالك شيء يبني أن تدبره إذا أردنا إحداث انقلاب في حياة البشر . الحذر كل الحذر من أن نقتلع شيئاً من جذوره ، فإن ما نبت في قلب البشرية لا يفتلع . إنما نحن نستطيع دائماً أن نهذب ذلك الغرس وأن نميل به إلى حيث تريد ريحنا . وأن نبدل بما نشتهي ألوان أزهاره وثماره ، وأن نولد منه أقوى الأشجار ... وهكذا نخرج للحياة مما كان وعلى أساس ما كان ، ذلك الذي يقول فيه الناس إن عين الشمس لم تره . آه ! ما أصدق تلك الكلمة : لا جديد تحت الشمس . نعم . إن يد « الطبيعة » لا تبرز جديداً ولا تميت قديماً ، ولا تمحو من الوجود ، ولكنها تمحل وتبدل في الوجود . فلتذكر دائماً أن لا شيء يتمدم في الطبيعة . وليست « المادة » وحدها هي التي لا تتمدم ، كما يقول الكيمائيون . كل شيء لا يتمدم في هذا الوجود . إن الطبيعة لا تعرف كلمة « المدم » ولكنها تعرف كلمة « التحول » ذلك أسلوب الخالق الأزلي

توضيح الكاتب

وإن من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبني الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة . من الحماقة أن يبني الزواج على الحب . منذ الذي يبني داره على كسب من الملح في طريق السيل ؟ الحب فراشة حلوة ، فيها أجل الألوان ولكنها لا تعيش إلا يوماً واحداً . الحب زهرة فواحة ليس لها في الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لسة . من رأيي في الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل حرمان ، كالكهرباء لانقضى المصباح إذا التقى فيها القطبان المختلفان . أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فنسبغ عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخامت هذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء . أنظروا إلى الزوجين الحبيبين في شهر العسل ، وقد ذهبوا بسيحان بنمان بالحلوة الحلوة ، في أجل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منها تروا أنها لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضى الليالي ، وتبلى جدة هذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام ...

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبك) و (أحبك) ردها مائة مرة فإنكم تنامون ...

فلنعلن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل ... فهل نعود إذن إلى طريقتنا الأولى : نخطب لى عمى أو خالتي ، وتنتقى لى الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلها بها ، وأمضى العقد وأمشى إلى حفلة العرس ، وأنا لا أعرف مالون عين العروس وما شكل أنفها ؟ هذه طريقة سقيمة عقيمة ... فماذا نصنع إذن ؟ ما هي الطريقة المثلى ؟ هي ياسادتي طريقة الإسلام . إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضا عنه ، ويرجع جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفيها ، أن يجلس معها (بمضور ولها) ... هذه هي سنة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونها إلى الأسواق ، متبرجة متهنكة ، يرى أكثر من وجهها وكفيها الفاسق والخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار !

إننا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح

« البقية في العدد القادم »

على الطنطاري

الدرس في كلية بيروت الشرعية